

## برنامج أنوار كاشفة سلسلة الموعدة على الجبل الحلقة السادسة

مستمعي العزيز ، كيف تعامل الناس من حولك ؟ وإلى أي حد تقدر على احتمال التعدي والإهانة من الآخرين ؟ وهل تسعى للانتقام من الذين يسيئون إليك ؟ وهل محبتك محصورة بالناس الذين تربطك بهم صلة معينة ؟ أو الذين يتفقون معك في الرأي ؟ وما هي نظرتك للناس الذين يختلفون عنك في اللون أو الجنس أو القومية أو الطبقة ؟

كلها أسئلة جدير بكل واحد منا أن يفكر بها ويحاول الإجابة عنها. ففي حياتنا اليومية لا بد أن نحتك بالكثيرين ، ولا بد أن نحدد موقفنا تجاه أي شخص يقوم بتصرف معين نحونا. ومن غير المستحسن أن تكون علاقتنا مع الآخرين هي مجرد رد فعل لتصرفاتهم تجاهنا سواء كانت إيجابية أم سلبية . بل يجب أن تكون مبنية على أسس واضحة .

فهل هناك يا ترى أسس نستطيع الاعتماد عليها في علاقتنا مع الآخرين ؟ وما هي ؟ كنا بدأنا في اللقاء السابق بالحديث عن الأسس أو المقاييس التي وضعها لنا المخلص يسوع المسيح ، وذلك في موعظته على الجبل. فتحدثنا عن الأسس التي تتعلق بوصيتي القتل والزنا . أما اليوم فسننتقل إلى موضوعين جديدين ونتأمل بموقف المخلص لمسيح منهما .

قال المخلص المسيح " سمعتم أنه قيل عين بعين و سن بسن . أما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر. بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضا." (٣٨:٥ و ٣٩) إن المقصود بـ قيل هنا ما ذكرته شريعة الله في العهد القديم . إذ جاء فيها ما يلي : " وإن حصلت أذية تعطي نفسا بنفس وعينا بعين وسنا بسن ويدي بيد ورجلا برجل وكيا بكيا وجرحا بجرح ورضا برضا ."

لقد قدّم المخلص المسيح مقياسا أسى وأعلى لكل الذين يريدون أن يدخلوا إلى ملكوت الله . إن الإنسان الطبيعي من الصعب عليه أن لا ينتقم لنفسه ، ولهذا سمحت له شريعة الله في العهد القديم بأن يتصرف على أساس عين بعين و سن بسن . بينما يصبح مطلوبا من الإنسان الروحي الذي أصبح من أولاد الله أن لا ينتقم لنفسه ، أي لا يقاوم الشر .

وليس هذا فحسب بل عليه أن يقدم المزيد أي يتنازل عن حقه ، وهذا ما قصده المخلص المسيح بقوله : " بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضا . " وهنا علينا أن نفهم هذا الأمر من خلال سياق كلام المسيح أي من ضمن موضوع عدم الانتقام وعدم مقاومة الشر . وبتعبير آخر إن المخلص المسيح لم يقصد هنا أن يجعل الإنسان من نفسه مطية يعتدي عليها الآخرون ، كما قد يتبادر إلى البعض .

وأكبر دليل على ذلك هو قول المخلص المسيح في مناسبة أخرى لتلاميذه : " كونوا بسطاء كالحمام وحكماء كالحيات . " وتقضي الحكمة أن لا نذل نفوسنا ونعرضها للإهانة لمجرد إظهار تسامحنا الزائد غير المطلوب أمام الآخرين . وعلى ضوء هذه الحقيقة نفهم قول المسيح أيضا أن من أراد أن يأخذ ثوبك فاتركه له . ومن سخرك ميلا فاذهب معه اثنين . ومن سألك فأعطه ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده .

لعل السؤال الآن هو : هل باستطاعة الإنسان عدم الانتقام عندما يسيء أحد إليه ؟ بالطبع كلا . وهو ما ذكرناه قبل قليل . لكن يمكنه ذلك عندما يصبح من أولاد الله ، إذ يصبح إنسانا جديدا ، ويحل روح الله القدوس في داخله . وكأنسان جديد عليه أن يحمل صفات المسيح وأهمها صفة المسامحة وعدم الانتقام . أفلا ترغب مستمعي أن تصبح من أولاد الله ؟

وتابع المخلص المسيح موعظته فتحدث عن موضوع محبة الأعداء فقال : " سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك . وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعدائكم . باركوا لاعنيكم . أحسنوا إلى مبغضيك . وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم . لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات . " (متى ٤٣:٥-٤٥)

لقد كانت الوصية في العهد القديم أن يحب الإنسان قريبه نفسه ، فنقرأ في سفر اللاويين : " لا تنتقم ولا تحقد على أبناء شعبك بل تحب قريبك كنفسك . " ولقد فسر بعض اليهود المتعصبين هذه الوصية أنها تعني بغض العدو . لكن المخلص المسيح كشف وأكد المعنى الحقيقي لهذه الوصية فقال : " أما أنا فأقول لكم أحبوا أعدائكم . "

وكما أوضح لنا المخلص المسيح في مناسبة أخرى عندما تحدث عن مثل السامري الصالح فإن القريب هو أي إنسان آخر حتى ولو كان العدو . إن المحبة إذن هي الأساس الذي يجب أن ننطلق منه في علاقتنا مع الآخرين ، حتى لو كانوا أعداء لنا . ألم يحبنا الله ونحن أعداء ؟ لا بل أرسل المخلص المسيح لكي يبذل نفسه كفارة من أجلنا على الصليب ؟ فإذا كنا أولادا لله علينا أن نحمل صفاته تعالى وعلى رأسها صفة المحبة .

لكن المخلص المسيح لم يقف عند هذا الحد بل دعانا لكي نبارك لاعيننا ونحسن إلى مبغضينا لا بل نصلي من أجل الذين يسيئون إلينا . إن أصعب الأعداء هم الذين يضطهدوننا ويبغضوننا ويسئون إلينا ، ومع ذلك فإن المطلوب منا أن نرد على الاضطهاد بالمسامحة والمحبة . وليس هذا فحسب بل أن نوكد لهم محبتنا عن طريق معاملتنا معهم ، فنقابل اللعنة بالبركة والبغضة بالإحسان .

ولعل أفضل وسيلة لتحقيق ذلك هو أن نصلي من أجل هؤلاء الذين يسيئون إلينا ، كما طلب المخلص المسيح . إننا عندما نصلي من أجل شخص ما حتى ولو كان عدوا لنا نبدأ بمحبته ، وتأخذ مشاعر الكراهية والرفض تجاهه تزول. لأننا عندما نتصل بالله الذي هو إله المحبة لا بد أن يسكب محبته في قلوبنا ويساعدنا على مسامحة الآخرين ومحبتهم .

ولقد كشف المخلص المسيح عن السبب الذي من أجله علينا كأولاد لله أن نحب أعداءنا فقال :

" لأنه إن أحببتهم الذين يحبونكم فأني أجر لكم . أليس العشارون أيضا يفعلون ذلك . وإن سلمتم على إخوانكم فقط فأني فضل تصنعون . أليس العشارون أيضا يفعلون هكذا . " ثم ختم كلامه حول هذا الموضوع بهذه الآية الذهبية : " فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل . " (متى ٤٦:٥-٤٨) هذا هو الأساس الصحيح والمستوى الرفيع الذي وضعه المخلص المسيح لعلاقة الإنسان مع أخيه الإنسان . لكن لا أحد يستطيع أن يسلك بحسب هذا الأساس إن لم يدخل أولاً إلى ملكوت الله ويصبح من أولاد الله . أي إن لم يملك أولاً الله على حياته عن طريق التوبة والإيمان بالمخلص المسيح .

وعندما يغدو الإنسان من أولاد الله عليه أن يتصرف كولد لله ، أي يعكس محبة الله ويسلك في المحبة نحو الآخرين . وإلا لأصبح كالناس الآخرين البعيدين عن ملكوت الله ، والذين يحبون الذين يحبونهم فقط ، ويتعاملون مع الناس الذين يتعاملون معهم ، وعندها لا يكون له أي فضل . وهذا بالتمام الذي قصده المخلص المسيح بالآيات التي ذكرناها قبل قليل .

ألا تتوق مستمعي أن تحصل على قوة الله التي ستغير حياتك من الداخل وتساعدك على السلوك بالمحبة ؟ إن الطريق أصبح متيسراً بعد أن أتى المخلص المسيح وضرب لنا أروع مثل عن المحبة ، إذ قدم جسده فدية من أجلنا على الصليب . فهل تقبل إليه وتحصل على أعظم الهبات .